

## حقيقة مرض الإمبراطور كلاوديوس واستبعاده عن السلطة حتى عامه الخمسين

يثار حول الإمبراطور "كلاوديوس Claudius" (٤١-٤٤م.) كثير من الإشكاليات التي تعد الأكثر إثارة في التاريخ الروماني. حيث تسلط المصادر الأدبية<sup>(١)</sup> الضوء على الجوانب السلبية لشخصه وفترة حكمه وسياسته وأظهرت أنه رجل أحق. وركزت تلك المصادر على الحالة المرضية التي أصابت كلاوديوس وهو صغير وأظهرت نقاط الضعف في شخصه، مستغلة آراء أقرائه فيه حين كان طفلاً صغيراً، إلا أن دراسات حديثة وتشخيصات طبية أعادت تقييم الصورة الإكلينيكية التي تقدمها المصادر عن مرض كلاوديوس.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة الفترة الأولى من حياة كلاوديوس قبل تقلده السلطة الإمبراطورية، وإلقاء الضوء على مرض كلاوديوس وتفسير نقاط ضعفه في ظل التشخيص الإكلينيكي الحديث، ومن ثم سوف تركز على الدراسة الطبية القيمة التي قدمها "إرنستين Erenestine"<sup>(٢)</sup> معتمداً على دراسات طبية وسوف نقوم بمناقشة أقوال معاصريه وعلى رأسهم أقرائه جده الإمبراطور<sup>(٣)</sup> أغسطس وجنته ليفيا وأمه انطونيا، ومعاصره سنيكا الفيلسوف مربي نيرون، وكذلك أقوال سويتونيوس<sup>(٤)</sup> الذي بالغ في تفسير تلك الروايات في سيرته عن كلاوديوس، التي ركزت على الجوانب السلبية.

فضلاً عن ذلك، سوف يتناول البحث اهتمامات كلاوديوس الأدبية وثقافته<sup>(٥)</sup> لبيان الصورة الإيجابية في شخصيته،<sup>(٦)</sup> حيث أن هناك اتهام شائع أن كلاوديوس أثر الآداب عن السياسة والدراسة عن السلطة ومن ثم اعتبر

---

(١) كل الإشارات التي مترد بخصوص المؤرخين القدامى أو سنيكا فيما يخص الإمبراطور كلاوديوس هي من خلال النصوص اللاتينية الواردة في مجموعة Leob Classical Library. وسوف نتبع الاختصارات التالية:

Dio Cassius = Dio, 60.; Josephus, Antiquitates Judicae = Joseph. AJ.; Seneca, Apocolocyntosis = Seneca, Apoc.; Suetonius, Divus Claudius = Suet. Claud.; Tacitus Annales = Tac. Ann.

(2) Ernestine F. Lean, "The Imbecillitas of the emperor Claudius". Transactions and proceedings of the American Philological Association. vol. 79. (1948), pp. 79-86.

(3) Bardon. H., Les Empereurs et les lettres latines, Paris, (1940).

(4) Suet. Claud. vol. 5., The Dified Claudius, Biography of Claudius.

جايوس سويتونيوس ترانكو يالوس Gaius Suetonius Tranquillus ولد عام ٧٥م وعمل معلماً للقانون والخطابة في عصر الإمبراطور تراجان وكان صديقاً حميماً للكاتب بلينيوس الأصغر. وقد اختاره الإمبراطور هادريان كاتباً لأسراره. ولكنه اعتزل الحياة السياسية عام ١٢١م. وكرس نفسه للبحث والتاريخ. ربما مات قرب منتصف القرن الثاني الميلادي. من مؤلفاته الشهيرة كتبه عن حياة الأباطرة وتضم ١٢ إمبراطور منذ أغسطس حتى الإمبراطور 'نوميثيانوس De Vita Caesarum' وهي مرآة تعكس أسرار الأباطرة وطباعهم. Grant, M. The Ancient Historians, London. (1970), Reprint 1974.

(٥) عن أسلوب خطاباته البلاغية وثقافته راجع:

Cf. Benner, M. The emperor says, Gothenburg (1975); Roller. W.D. Scholarly Kings: The writing of Jubal of Mauretania, Archelaos of Cappadokia, Herod the Great, and the Emperor Claudius. Chicago III, Ares Publishers, 2004.

(٦) وثائق عهده التي توضح شخصيته الإيجابية راجع:

Charlesworth, M.P. Documents illustrating the reigns of Claudius & Nero, Cambridge 1939; Smallwood, E. Mary, Documents illustrating the principates of Gaius, Claudius and Nero. Cambridge Univ. Press. 1967; Scramuzza, Vincent, M., "Claudius Soter Eurgetes, classical philology, vol. 51 (1940), pp. 261-266; ibid., The Emperor Claudius, Cambridge (1940, 1980), pp. 3-4, 35-50.

## حقيقة مرض الإمبراطور كلاوديوس واستبعاده عن السلطة حتى عامه الخمسين

المؤرخون القدامى أن تقلده لعرش الإمبراطورية بعد اغتيال جايوس كاليجولا وهو فى سن الخمسين جاء بالصدفة<sup>(١)</sup>. ومن ثم فسوف نبحث عن الأسباب الحقيقية وراء استبعاده من ممارسة العمل العام فى عهد كل من أغسطس و تيربوس، وسوف يناقش البحث هل كان مرشحاً مقبولا لتولى العرش بعد جايوس أم أن اعتقاله العرش كان بالفعل صدفة.

## مولد كلاوديوس ومرضه

بداية يجدر بنا أن نعطي نبذة سريعة عن مولد كلاوديوس حيث أنه منذ ذلك الوقت بدأت المصادر الأدبية ترسم صورة مشوهة لهذا الإمبراطور، وكان هذا بداية للتناقض والاضطراب فى أقوال المؤرخين.

كلاوديوس هو نجل دروسوس<sup>(٢)</sup> بن ليفيا زوجة الإمبراطور أغسطس، وأمه هى انطونيا ابنة اوكتافيا، زوجة ماركوس انطونيوس، وأخت الإمبراطور أغسطس. لقد ولد فى شهر أغسطس عام ١٠ ق.م. فى Ligdunum (ليون الحالية Lyon) عاصمة بلاد الغال.

كان دروسوس فى ذلك الوقت حاكم هذه الولاية المهمة، وكان أيضا أجدر القادة العسكريين فى خدمة الإمبراطورية، وكان متوقفاً أن يكون الوريث الشرعى للعرش نظراً لمحبة أغسطس له، لولا وفاته المبكرة عام ٩ ق.م. فى أحد حملاته العسكرية مع قوات جيش الراين<sup>(٣)</sup>. هكذا كان يتوقع لهذا الطفل ذو النسب المشترك بين جديه أغسطس وأنطونيوس أن يحظى بمستقبل باهر، إلا أن الطفل الذى أسموه تيربوس كلاوديوس دروسوس Tiberius Claudius Drusus<sup>(٤)</sup> فى سنوات طفولته وأوائل سن المراهقة كان ضحية مرض، لم يدعه إلا وهو معتل الصحة وأيضاً مشوه المنظر، متأخر فى نموه العقلى لدرجة أن أسرته خشيت على الصبى ألا يصلح للمنصب العام.

لقد أشار إلى مرض كلاوديوس كل من "سويتونيوس Suetonius"<sup>(٥)</sup> فى روايته عن سيرة كلاوديوس كذلك أشارت إليه روايات تاسيتوس Tacitus<sup>(٦)</sup> و "ديوكاسيوس Dio Cassius"<sup>(٧)</sup> وكذلك فى الهجاء الساخر الذى كتبه

(1) Suet.Claud. 10. يذكر أنه صار إمبراطور وهو فى سن الخمسين وذلك بسبب الحظ المتمم بغربة غير معقولة.

(2) Suet.Claud. 1.6 (لم يعيش لأنطونيا من أطفالها إلا ثلاثة: جرمانيكوس - ليفيلا - كلاوديوس)

(3) Suet.Claud. 1.1-5.

(\*) بعد ذلك منذ العام الرابع وحتى اعتقاله العرش وبعد تبنى أغسطس لأخيه جرمانيكوس أطلق عليه:

Tiberius Claudius Nero Germanicus

(4) suet.Claud. 2.4;30.

(5) Tac.Ann. 6.46.

تغطي الحوليات (Annales) للمؤرخ الرومانى تاسيتوس أحداث الفترة ١٤-٦٦م أى عهد تيربوس إلى نيرون، إلا أن هناك فجوة فى الكتب ما بين الكتاب ٦ إلى ٩. والكتب ١١، ١٢ تغطي الفترة ٤٧-٥٤م ومن ثم فإن رواية تاسيتوس لا تغطي الأعوام الستة التى تعد سنوات بداية تولى كلاوديوس الحكم.

(6) Dio. 60.2.

هو كاسيوس ديون وأحياناً يعرف باسم ديو كاسيوس كوكيانوس Dio Cassius Cocceianus وهو إغريقى من آسيا الصغرى وهناك تلقى تعليمه، دخل مجلس السناتو عام ١٨٠م وأصبح برابتر قضائياً عام ١٩٣م. فى عدد من الولايات الإمبراطورية فى آسيا الصغرى. اختير فى منصب القنصلية عام ٢٢٩م شريكاً مع الإمبراطور الكسندر سيفيروس. اعتزل الحياة السياسية وعاد إلى موطنه

كتبه "سنيكا" Seneca المعاصر لكلاوديوس الذى يدور حول تأليه كلاوديوس<sup>(١)</sup> Apocolocyntosis، إذ تصور تلك المصادر كلاوديوس بحركات بدنية غريبة، فمشيته متثاقلة يجر قدميه ببطء، والعرشة تظهر على يديه ورأسه يهتز وفمه يسيل منه اللعاب دون إرادة، بالإضافة إلى تلعثه فى الكلام، ولقد حاول الكتاب المحدثين تشخيص حالة كلاوديوس المرضية<sup>(٢)</sup> من خلال تلك الصورة التى تقدمها المصادر القديمة، ويبدو أنهم تأثروا إلى حد ما بالاشتقاقات اللغوية الموجودة فى اللغة الانجليزية واللغات الرومانية لكلمة Imbecillitas (ضعف أو وهن)، وهى مصطلح لاتينى ألصقه سويتونيوس بكلاوديوس<sup>(٣)</sup>.

ومن ثم فقد تعددت واختلفت الآراء حول إعاقه كلاوديوس البدنية بدءاً من التأخر والضعف العقلى أو الصرع إلى شلل الأطفال إلى بعض الاعتلال العصبى الخفيف<sup>(٤)</sup>.

حاول "روث" Ruth<sup>(٥)</sup> تفسير مرض كلاوديوس على أنه أحد أشكال شلل الأطفال بسبب أن كلاوديوس ولد مبسراً<sup>(٦)</sup> قبل اتمام الحمل مما أصابه بشلل لحظة مولده، وربما هذا يفسر حركاته البدنية التى يذكرها المؤرخون القدامى، ولكن فى نفس الوقت لا يفسر لنا روث كيفية شفاؤه اللاحق بعد سنوات من كل هذه الأعراض، فهو يؤكد مثل المصادر الأدبية القديمة على قدرته الذهنية الواضحة، وتركيزه القوى، ويرفض فرضية إصابته بمرض عقلى ولا حتى جزئى، ويرى أن ما تبقى من مرضه هو بعض التوتر العصبى وشدة الهلع وفقدان السيطرة العامة على نفسه، ويرجع روث هذه الأعراض إلى المعاملة القاسية التى تعرض لها كلاوديوس وهو صبى صغير.

---

الأصلى وعكف على كتابه موسوعة التاريخ الرومانى باللغة اليونانية وبعد عشرين عاماً خرج عمله الضخم الذى يتناول تاريخ الإمبراطورية منذ أسطورة أبيناس الطروادى حتى ٢٢٩م. وجاء ذلك فى ٨٠ مجلد مقسم حسب عصور الإمبراطورية المختلفة معطياً الأهمية للفترة التى عاصرها. ولكن أهمية هذا المؤلف تتلشى عندما نجد الجزء الخاص ما بين ٩ ق.م، ٤٦م. (الكتب ٥٥-٦٠) ناقصة أو موجزة. ويزداد أسفنا عندما نجد الأجزاء التى تتناول الفترات التالية هى الأخرى عبارة عن شذرات. يرى البعض أنه حذى حنو بوليبيوس الإغريقى وليفيوس الرومانى سواء فى المادة أو المنهج. ويعاب عليه إيمانه بالخرافات وتملقه لحكام عصره ومحاباته للعصر الإمبراطورى وحده على أبطال العصر الجمهورى. ولكن كل هذا لا يقلل أبداً من حيوية وصفه، ودقة عباراته. سيد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسية والحضارى، ١٩٧٩، ص ١٣ حاشية رقم ١؛

See also, Miller. F., A Study of Cassius Dio, Oxford, 1964.

(1) Seneca. Apoc. 5. 2.

(2) Ruth. The Problem of Claudius: "Some aspects of character". Jons Hopkins Univ. (Diss.1916).- Review, Donald, M. C. Fayden, in Classical Philology, vol. 21, No.3 (1926), pp. 284-286; Ernestine, op. cit, loc. cit

(3) Suet. Claud. 6. 2; Ernestine, op. cit., p. 79.

أشار سويتونيوس إلى هذه الصفة (imbecillitas) عندما رفض تيريوس اقتراح مجلس السناتو بضرورة أن يلى كلاوديوس بآرائه ضمن آراء القناصل، لكن تيريوس رفض وذكر تلك الصفة.

(4) Scramuzza, The emperor Claudius, p. 238, note 3.

(5) Review: Donald, M.C. Fayden, op. cit, loc. cit

(6) Ernestine, op. cit., p. 82. n. 10.

يعلق ايرنستين على دراسة روث أنه لا يلزم تكون حالة كلاوديوس المرضية أنه ولد مبسراً لأن الطفل المبسر المولود غير مكتمل النمو يصل إلى الاكتمال قبل نهاية عامه الثانى فى حين أن أعراض كلاوديوس المرضية استمرت معه لفترة سن المراهقة.

أما إيرنستين<sup>(1)</sup> فإنه من خلال دراسة طبية مستفيضة رأى أن هذه الأعراض التي يصفها المؤرخون القدامى وينسبونها إلى كلاوديوس تشير إلى أنه كان ضحية الشلل الدماغي أى تلف دماغى يحدث عادة عند الولادة نتيجة لسبب ما ويترك إعاقة ما فى عضلة المخ ويترك بعض الأثر، وهذا يفسر مظاهر قصور كلاوديوس البدنية، وأنماط هذا الشلل الدماغي تُصنف بالشلل التشنجى، ويُعرف الطب الحديث هذا الشلل الدماغي بأنه: اختلال السلوك العضلى نتيجة لتلف أو تشوه فى مراكز المخ التى تتحكم فى السيطرة العضلية. والمشكلة العضلية ذات أشكال متنوعة وتتفاوت بين طفل مريض وآخر، فربما يعانى الطفل من حركات عشوائية لا إرادية، أى مشكلات عضلية للذراعين والساقين وقد يعانى أيضا من قصور فى الكلام وقد يصيب التلف جزء من نسيج المخ أيضا ويتحكم فى ذكاء الطفل المصاب أو غياباه حسب طبيعة التلف المخى ومداها.

ويقرر الأطباء أن الطفل المولود لأبوين يتمتعان بذكاء فوق العادى، أن يعلو ذكاء الطفل المصاب إلى ما فوق المتوسط بشرط سلامة مراكز المخ الذهنية التى تحافظ على الذكاء من التلف<sup>(2)</sup>.

هكذا يقدم لنا إيرنستين تفسيراً طبياً لحالة كلاوديوس، فىرى أن أعراض مرض كلاوديوس كما وصفها المؤرخون القدامى تنطبق على إصابته بحالة من حالات الشلل الدماغي التشنجى، وأنه وفقاً للآراء الطبية الحديثة فإن هذا يحدث لعدة أسباب<sup>(3)</sup>: قد تكون لأمراض وراثية أو نتيجة لنقص الأوكسجين بسبب الولادة المبكرة أو نتيجة إصابته بحمى أثناء الولادة أو بعدها (وهذا ما ذكره سنيكا أيضا Apoco.6)، وإن هذا الشلل الدماغي بالنسبة لحالة كلاوديوس لم يؤثر - لحسن الحظ - على مراكز المخ الذهنية<sup>(4)</sup> وإنما فقط أصاب مراكز عضلية مما ترتب عليه مشاكل جسدية حركية فقط وهى تلك التى وصفها المؤرخون القدامى، أما عقله فلم يصبه شيئا (وهذا ما أكدته روث أيضا) مما يفسر تقدمه ذهنى. ويؤكد ذلك أن هذه الإعاقة لو أصابت ذهنه فإنه لا يتحسن بمرور الوقت وهذا عكس ما حدث مع كلاوديوس حيث أكدت المصادر القديمة أنه حين صار إمبراطور كان يتمتع بقدرة ذهنية واضحة<sup>(5)</sup>. والخلاصة أن الشلل الدماغي إذا لم يؤثر على مراكز المخ الذهنية فإن الطفل المصاب بمرور الوقت يتقدم ذهنيا وعقليا مثل أى شخص آخر عاديا.

لقد أراد إيرنستين إعادة تقييم الدليل القديم بحيث نتمكن من تحديد عجز كلاوديوس فى ضوء المعرفة الطبية الحديثة وهو يقدم لنا تفسيراً لشفاؤه اللاحق، وأن ذلك كان نتيجة تطبيق نظريات إعادة تأهيل المعاقين - فهذا الشلل

(1) Idem, p. 81f.

يرى إيرنستين أن مشكلة كلاوديوس ربما تكون ظهرت قبل الولادة أو بعدها وربما أثناءها وذلك من خلال ملاحظة التاريخ الطبى لأمه أنطونيا ويرجح أن المشكلة حصلت أثناء الولادة ويدعم رأيه أن أنطونيا فقدت عدة أطفال قبل ولادة كلاوديوس. واستنادا على رواية سكريبونيوس لارجوس (٢٧١): فإنها كانت تستعمل مرهم طبى مسكن له علاقة باضطراب فى الإبصار وجفاف غير طبيعى للعين مما يشير أنها كانت تعاني من مشكلة طبية لها علاقة باختلال فى وظائف الغدد التى تقضى إلى مشاكل معقدة عند الولادة، وأن رأس كلاوديوس الضخمة التى تظهر فى صورته وهو كبير ربما تساهم فى ثبوت إصابة ما عند ولادته

(2) Ernestine, op. cit., p. 82 & n.10, p. 83.

(3) لمزيد من المعلومات الطبية راجع دائرة المعارف الطبية Pubmed.: Infantile Paralysis, pp.1230 ff.

(4) مراكز المخ ثلاثة: ذهنية تتحكم فى الذكاء والإدراك العقلى - عضلية تتحكم فى الحركة - دوافع ومشاعر تتحكم فى التصرفات السلوكية

(4) Suet. Claud. 31

الدماغى يجعل قدرته الذهنية فوق المتوسط، لكن يحتاج إلى وقت حتى ينضج اجتماعيا وإلى تدريبات خاصة حتى يصير طبيعياً، ولأن كلاوديوس كان أحد نسل الذرية اليوليوكلدونية من جانب وأحد النسل الانطونى من الجانب الآخر، إذن فرضية أن يرث كلاوديوس المقدرة الذهنية التى تربو على المعدل المتوسط لها فرصة كبيرة<sup>(١)</sup>، ومع إعاقته البدنية فإن كلاوديوس استغرق وقتاً حتى ينضج اجتماعياً.

#### الروايات حول مرض كلاوديوس والتعلق عليها

فى الواقع إننا نقرأ فى المصادر الأدبية الكثير عن تلك الإعاقة، واعتمادنا فى الأساس على شهود العيان من أفراد أسرته، الذين نتوقع أن تغلب عليهم الحيدة والموضوعية، إلا أنه ينبغي علينا أن نستخلص من أقوالهم ما هو مقبول موضوعياً.

فهذا سويتونيوس<sup>(٢)</sup> فى سرده لطفولة كلاوديوس يحدثنا أن أم كلاوديوس انطونيا ابنة ماركوس انطونيوس، لا تحمل لابنها أى تعاطف نظراً لتلك النقائص التى كانت لدى ابنها!

"وكانت أمه أنطونيا تطلق عليه أحياناً أنه بشع الخلقة لم يكتمل تكوينه، وإن كانت الطبيعة قد بدأت. وإذا هى اتهمت أى شخص بالبلادة، فإنها كانت تقول أنه أكثر حماقة من ابنها كلاوديوس".

*"Mater Antonia portentum eum hominis dictitabat, nec absolutum a natura, sed tantum incohatum; ac si quem socordiae argueret, stultiores aiebat filio suo Claudio"*

أما جدته ليفيا فكانت تعطيه تعليمات موجزة عن طريق رمل ومسطاة بينها وبينه<sup>(٣)</sup>.

كذلك يحدثنا سويتونيوس<sup>(٤)</sup> أن كلاوديوس الصغير بسبب ضعف صحته، كان يرتدى عباءة فضفاضة (الإخفاء حركاته البدنية المتشنجة) - خلافاً لأى سابقة - عندما كان يترأس ألعاب المصارعة التى كان هو وشقيقه جرمانيكوس يُجريها تشريفاً لوالدهما. أما فى اليوم الذى كان يفترض أن يلبس فيه الخُلة المناسبة للرجولة، فقد نقل إلى الكابيتول نحو منتصف الليل بدون وجود الحرس المعتاد. وأنه ظل لمدة طويلة حتى بعد أن بلغ سن الرشد فى حالة من الصبيانية وتحت الوصاية. وقد بدا هو نفسه يشكو فى إحدى كتبه هذا الشخص الوصى عليه، قائلاً إنه:

(١) إن السرد التاريخى لحكم كلاوديوس ودليل النقوش وأوراق البردى المكتشفة حديثاً الخاصة بمعهد تبين أنه بلا شك كان يمتلك عقلاً راجحاً متزناً فوق المتوسط.

Cf. Arnaldo Momigliano, *Claudius the Emperor and his Achievement* (Oxford, 1934); Scramuzza, *The Emperor Claudius*, p. 64 ff; Tayler, T., *Claudius: The Administrator?* London, 1998.

هناك أمثلة توضح رجاحة عقله، أنظر خطاب الإمبراطور، خاصة خطابه فى السناتو والخاص برغبته فى دخول زعماء الغال إلى المجلس (Tac. Ann. XI. 23)، وكذلك خطاب الإمبراطور إلى شعب الإسكندرية (P. Lond. 1912). وكذلك خطابه إلى أعضاء السناتو بشأن بعض الإصلاحات القضائية فى (BGU, 611. col. 111).

(2) Suet. Claud. 3. 2.

(3) Suet. Claud. 3. 2.

إن إيثار ليفيا للتواصل التحريرى مع كلاوديوس للصغير يرجح إن تبادل الرسائل فى الأسرة الإمبراطورية كان أمر معتاد (مثل خطاب أغسطس إلى ليفيا (Suet. 4)).

(4) Suet. Claud. 2. 2

حقيقة مرض الإمبراطور كلاوديوس واستبعاده عن السلطة حتى عامه الخمسين

"لفترة طويلة حتى بعد أن بلغ سن الرشد وضعوه تحت وصاية وتربية شخص بربرى عمل كرئيس سائقى بغال فى السابق، وضع تحت مسئوليته كعقاب له يتسم بكل قسوة ممكنة (لا مبرر لها) لأى سبب كان"<sup>(1)</sup>.

"Diu atque ctiam post tutelam receptam alieni arbitrii et sub paedagogo fuit; quem barbarum et olim superiumentarium ex industria sibi appositum, ut se quibuscumque de causis quam saevissime coerceret".

ورغم ما قد يبدو من مبالغة فى تلك الروايات إلا إنه يمكن تفهم مشاعر أسرة كلاوديوس، بالنظر إلى وجهاء الذرية اليوليوكلودية ذو الوسامة أغلبهم، بينما أحد أفراد هذه السلالة لم يوهب الوسامة ذاتها، خاصة وأن أخيه الأكبر هو جرمانيكوس، محبوب أغسطس والشعب، فإن الصبى كلاوديوس فى مرحلة المراهقة وحالته الصحية هذه، كان من الطبيعى ألا يتصرف بوقار متوقع من أمير أحد أفراد الأسرة الإمبراطورية - ومن ثم كان من الطبيعى أن يلقى معاملة الإهمال - لكن الأمر لا يصل بالطبع إلى درجة النفور، إلا إنه كان ينظر إليه باعتباره مريض يجب إخفاؤه من الظهور العلنى العام خشية أن يجلب الخجل للأسرة .

فهذا جده أغسطس يناقش تلك المشكلة فى خطاباتة إلى ليفيا وقد أوردها سويتونيوس:

"قد تحدثت يا عزيزتى ليفيا مع تيريوس (يقصد تيريوس ولى العهد وعم كلاوديوس) كما طلبت منى فيما يتعلق بما يجب أن يتم إزاء حفيذك تيريوس فى ألعاب مارس. "الآن نحن متفقون أن كل منا يجب أن يقرر لمرة واحدة ما هو البرنامج الذى ينبغى علينا أن نتبعه لحالته"<sup>(2)</sup>.

"Collocutus sum cum Tiberio, ut mandasti, mea Livia, quid nepoti tuo Tiberio faciendum esset ludis Martialibus, Consentit autem uterque nostrum, semel nobis esse statuendum, quod consilium in illo sequamur

"قلو كان سليما (متكاملا) فما من سبب يدعونا للشك فى ضرورة تقدمه عبر نفس مدارج الارتقاء الوظيفى التى مر بها شقيقه قبله؟ ولكن إذا اكتشفنا أنه ناقص يفتقر إلى الصحة البدنية والذهنية (الحواس) فعلىنا ألا نقلل من قدراته وأن نعد أسباب التهكم به وينا على حد سواء أمام البشر - إن ذلك لأمر مخجل"<sup>(3)</sup>.

"Nam si est artius, ut ita dicam, holocleros, quid est quod dubitemus, quin per eosdem articulos et gradus producendus sit, per quos frater eius productus sit? Sin autem ἡλαττώσθαι sentimus eum et βεβλάφθαι καὶ εἰς τὴν τῶν σώματος καὶ εἰς τὴν ψυχῆς ἀρτιότητα, praebenda materia deridendi et illum et nos non est hominibus τὰ τοιαυτα σκώπτειν καὶ μυκτηρίζειν εἰωθόν,

(1) Suet. Claud. 2.6.; cf. Graves, R., Claudius: from the autobiography, New York, 1989.

(2) Suet. Claud. 4. 1.

(3) Suet. Claud. 4. 1-2.

حقيقة مرض الإمبراطور كلاوديوس واستبعاده عن السلطة حتى عامه الخمسين

من هنا نفهم المبرر الذي أعطى في عدم ظهور كلاوديوس الصغير عندما كانت المناسبة تتطلب ظهوره وهو إصابته بالحمى على نحو ما يذكر سنيكا<sup>(١)</sup>. أليس هذا هو المعتاد حدوثه إلى الآن عند بعض العائلات بإعطاء معاذير مماثلة في تبرير غياب أبناء لها معاقين عن حضور لقاءات اجتماعية؟!

إلا إنه رغم الانتقادات التي وجهت إلى الصغير كلاوديوس من أسرته فإنه من الثابت أيضا أنه من حسن طالع الطفل إنه وجد تعاطفا ومساعدة من بعض أفراد أسرته. فهذا جده أغسطس كما رأينا يناقش أمره مع ليفيا ويبحث عن ضرورة اتخاذ اللازم نحو حالته المرضية.

وفي خطاب آخر من أغسطس إلى ليفيا يقول لها<sup>(٢)</sup>:

" لاشك إننى سأدعو تييريوس الصغير إلى العشاء كل يوم أثناء غيابك وذلك حتى لا يتناول العشاء بمفرده مع أصدقاء اثينودورس و سولبيكيوس Sulpicius

"إننى كنت أتمنى أن يختار بدقة ويشكل أكثر تركيزا شخصا يحاكي حركاته وعاداته وجلسته".

Qui vellem diligentius et minus μετεωρς deligeret sibi aliquem, cuius motum et habitum et incessum imitaretur.

إن أغسطس حريص على أن يضع معلما خاصا لحفيده، حتى يحاكي حركاته. أما قول سويتونيوس واصفا هذا المعلم إنه كان بربريا وضابطاً سابقاً مسئول عن عربات البغال، ويقول إن هذا الوصف ذكره كلاوديوس نفسه في أحد كتبه عن هذا المعلم! فإن هذا يبدو طبيعياً - فكما هو معتاد مع الأطفال - أن يرفض كلاوديوس معلمه الذى قد يقسو عليه، ويسخر منه ويصفه بهذا الوصف، لكن هل كان يصعب على الإمبراطور أغسطس أن يجد معلما جيدا لحفيده! خاصة وأن الإمبراطور في نفس الفقرة أعلن عن إعجابه بخلق حفيده قائلاً:

"الفتى المسكين عاثر الحظ حين يترن أو (يركز) ذهنه يبرز نبل شخصيته بدرجة كافية"<sup>(٣)</sup>.

Misellus άτυχει nam εν τοις σπουδαίοις, ubi non aberravit eius animus, satis apparet ή της ψηχης άβγενεία ..

إن اهتمام الأسرة بكلاوديوس وصل إلى درجة القلق والتردد والانقسام في الرأي. عرفنا هذا من خلال أسئلة طرحتها جدته ليفيا على أغسطس فكتب يقول:

"إننا سنكون في اضطراب وقلق لو إننا ترددنا كل مناسبة ولم نتخذ قرارا فيما إذا كان (كلاوديوس) يستطيع شغل مناصب عامة أم لا"<sup>(٤)</sup>....

(1) Senc.Apoc. 6-1.

(2) Suet.Claud. 4.5.

(3) Suet.Claud.4.5.

(في الحقيقة أن هذا النبل في الشخصية أيضا يمكن أن نلاحظه مع المرضى من هذا النوع فهم يتمتعون عادة بصفاء نفسى وثبل أخلاقي).

(4) Suet.Claud.4. 2-3.

حقيقة مرض الإمبراطور كلاوديوس واستبعاده عن السلطة حتى عامه الخمسين

"Nam semper aestuabimus, si de singulis articulis temporum deliberabimus, μή προὑποκειμένου ἡμῖν posse arbitremur eum gerere honores necne ....."

أما فيما يتعلق بالأمور التي طلبتني نصيحتي فيها، فإنني لا أعترض على اضطراره بمسئولية ترأس مآبنة الكهنة في ألعاب مارس، شريطة أن يخضع لنصح قريبه ابن سيلفانوس حتى لا يصدر أى تصرف يثير التهم والسخرية .....

"والآن يا عزيزتى ليفيا تفهمين آرائى فى اتخاذ قرار للأمر كله حتى لا نكون دائماً فى تردد (حيرة) بين مشاعر الخوف والرجاء"<sup>(١)</sup>.

Habes nostras, mea Livia, sententias, quibus placet semel de tota re aliquid constitui, ne semper inter spem et metum fluctuemur.

هكذا يتضح أن أغسطس فى تلك اللحظة التى يكتب فيها هذا الكلام لم يستطع الاستقرار بعد على رأى معين بسبب وجود انشفاق فى الرأى داخل الأسرة القيصرية، فهناك فريقان؛ فريق يرى أن الصبى معاب فى صحته البدنية ولا بد أن يعزل عن الحياة العامة خوفاً من القيل والقال، وفريق آخر لا يمانع من مزاولته للعمل العام ومن ثم هم بين مشاعر الخوف والرجاء. لقد رأى أصحاب هذا الفريق المتفاعل علامات تقدم لدى الصبى ومن ثم فقد حرصوا على توفير معلم له للقراءة هو ليفيوس<sup>(٢)</sup> Livius وإعطاءه دروساً خاصة فى التاريخ. وكان كلاوديوس يبدى تطوراً ملحوظاً فى قدراته لدرجة أن أغسطس نفسه كان مندهشاً لهذا التحول والذى يوعد بتقدم غير متوقع فكتب<sup>(٣)</sup>:

"إذا لم أكن مندهشاً يا عزيزتى ليفيا من أن حفيدك تيبيريوس استطاع أن يسعدنى بما يمتلكه من خطابه منمقة. كيف شخص يفتر حديثه إلى الوضوح يصير قادراً على التحدث بهذه البلاغة والأسلوب الخطابى، إن هذا الأمر لم أراه".

"Tiberium nepotem tuum placere mihi declamantem potuisse, peream nisi, mea Livia, admiror. Nam qui tam ἁσφαῶς loquatur, qui possit cum declamat σφαῶς dicere quae dicenda sunt, non video".

(1) Suet. Claud. 4. 4-4.

(٢) كرس نيتوس ليفيوس (٥٩ ق.م. / ١٧م. تقريباً) نفسه لكتابة تاريخ روما منذ نشأتها حتى موت دروسوس عام ٩ ق.م. وعُرف كتابه باسمه منذ تأسيس المدينة Ab urbe condita libri. ضم تاريخه ١٤٢ كتاباً لم يبق منها سوى الكتب ١-١٠، ٢١-٤٥. الكتاب الأول يحكى تاريخ ملوك روما، وتضم الكتب ٢١-٣٠ قصة الحرب مع هانيبال، من مصادره المؤرخ الاغريقى بوليبيوس. وكذلك كاتو الأكبر. يبرز تأثيره بفلسفة المذهب الرواقى ويرى أن الورع والتقى pietas والفضيلة virtus هما ركيزتان فى بنية الدولة الرومانية، وكما استخدم فرجيليوس الشعر، استخدم ليفيوس النثر، بهدف تثقيف قرائه من الرومان وتحسين أخلاقهم، فاستخدم التاريخ كمرآة تزيهم أنفسهم كأحسن ما كانوا حتى يستعينوا مجد أجدادهم. أما من حيث خصائص كتابته فإنه يرى أن نماذج الشخصيات التاريخية التى تشكل معمار الأحداث ومن ثم يشير السرد عند ليفيوس إلى تأثيره بأسلوب قيصر، بينما تشهد المقطعات من كلام الشخصيات وأقوالهم بتأثره بالخطابة الشيشرونية (المرجع: أحمد عثمان: الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى. ص ص ٣٣٣-٣٣٥؛ سارتون. ج، تاريخ العلم، ترجمة لغيف من العلماء، ج ٦، القاهرة (١٩٧٨)، ص ١٠٣.

(3) Suet. Claud. 4. 6.



فهل كان أغسطس حين اندهش للحالة التي كان عليها الطفل جاهلا للأسباب الفسيولوجية والسيكولوجية وراء تصرفات كلاوديوس؟

فى الواقع أن الطب الحديث يجيب على دهشة أغسطس تلك، وكما ذكرت سابقا فإن حالة الشلل الدماغى نتيجة اختلال السلوك العضلى التى يصحبها عدم وضوح فى الحديث لا يصحبها عادة عدم قدرة على الكتابة والبلاغة، فما يعانيه المريض من عدم وضوح الحديث هو مشكلة كلامية تأتى من قصور فى جهازه العضلى التخاطبى وهذا له عدة أسباب منها التوتر العصبى أو ضغط الإثارة أو الارتباك والخجل، ومن ثم فعدم وضوح الكلام أو التلعثم ليس له علاقة بعدم قدرة على التفكير السليم.<sup>(1)</sup> وكما تأثر الإمبراطور أغسطس بتقديم كلاوديوس الخطابى البلاغى فإنه أيضا أعلن عن إعجابه بخلق حفيده كما سبق الذكر.

هكذا يبدو أن الطفل كلاوديوس كان يتقدم بشكل ملحوظ، ولقد سعى إلى تكوين صحبه له من بين مجموعات خارج دائرة أسرته الذين وجد من بعضهم بعض الإهمال أو التهمك بسبب بعض القصور فى نطقه اللاتينية (تلعثمه). ولعل طريقة نطقه لم تنفر منه أولئك الذين ظلت اللاتينية لغة أجنبية لهم أو أولئك الذين لم يهتموا بالكلام الدقيق، فاتخذ أصدقاء له بعضهم من أصل يونانى كانوا يتناولون معه عشاءه على نحو ما يذكر سويتونيوس<sup>(2)</sup>. كذلك اتخذ إجريبا اليهودى<sup>(3)</sup> - ضيف القصر - صديقا له. كذلك اكتسب كلاوديوس رفقاء له طيبين من العبيد المحررين<sup>(4)</sup> خاصة وإنه من الملاحظ أن الأناس الأقل تميزا وثروة - باستثناء أولئك الذين صاروا على قسوة ووحشية لشعورهم الحاد بالدونية - هم أكثر تسامحا ورفقا مع المعاقين، من الذين أكثر حظوة وثروة.

ويرى Ernestine أن كلاوديوس كان يترك كثيرا لنفسه وأنه كان لا يستطيع أن يضم إصابعه الإبهام إلى أصابعه الأخرى (كما هو مع كثيرين من ضحايا الشلل الدماغى) فإن هذا شجعه على أن يزاوول لعبة النرد بقالب النرد (كوبى الشكل) فيستخدمه لضم أصابعه ويعد هذا حاليا أحد أشكال العلاج الطبيعى ضمن عمليات إعادة تأهيل غير القادرين جسديا، وذلك بتدريب المعاق على تحريك الأعضاء المصابة حتى تعمل بشكل طبيعى<sup>(5)</sup> وعلى ذلك فإن استمرار لعب كلاوديوس بالنرد ربما استحال إلى شكل من أشكال العلاج الطبيعى، وليس سعيا وراء إدمان

(1) وصلت إلى هذا رأى بعد سؤال أساتذة الطب النفسى المتخصصين. وكذلك أثناء عملى فى امتحانات اللجان الخاصة حيث أننى شاهدت طلابا أكثر لى هذه المعلومة الطبية، فهم يحتاجون عند اجابة الاختبارات إلى نوعية خاصة من ملاحظين اللجان تساعدهم على توفير الهدوء النفسى وعدم الارتباك حتى يستطيعون التركيز ذهنى والنتيجة فى الغالب تكون مدهلة.

(2) Suet. Claud. 4. 5.

(3) Josephus, AJ.19.4.5; Scramuzza, op.cit., p.12 ff., 57 ff; cf. Smallwood, E.M. The Jews Under Roman Rule from Pompey to Diocletian (Leiden, Brill 1976).  
ناقشت م. سكراموزا علاقة كلاوديوس بإجريبا بشكل مطول فى بحثها.

(4) Suet. Claud. 40.2.

لقد وجد كلاوديوس معاملة طيبة من تلك الطبقة الاجتماعية ومن ثم حين صار إمبراطور ساند ترشيح نجل عبد محرر بالقصر لوظيفة الكوايستور لمجرد أن والده سبق وأعطاه بعض الماء البارد أثناء مرضه وكان فى حاجة بالفعل للماء. عن عبيد الإمبراطور المحررين فى الأسرة القيصرية راجع:

Weaver, R.C. Familia Caesaris: a Social Study of the Emperor's Freedmen and Slaves. Cambridge U.P., 1972; Treggiari, S., "Domestic Staff at Rome in the Julio-Claudian Period, 27 BC. To AD. 68", Social History, VI (1973), 241-55.

(5) Ernestine, op. cit, p. 85.

القمار والرذيلة على نحو ما يفسره القدامى وعلى رأسهم سويتونيوس<sup>(١)</sup>، الذين عنفوه لأنه كان يزاوله بدرجة مفرطة، وينفس التحليل الطبى يمكن تفسير أيضا إفراطه فى الطعام الذى يتحدث عنه المؤرخون فلأن كلاوديوس قد تعرض للعزلة المجتمعية فى مرحلة مبكرة من حياته فقد كان يلجأ إلى الإفراط فى الطعام كتعويض عن سوء التوافق الاجتماعى أو الحزن<sup>(٢)</sup>، وتصور المصادر استمراره فى هذه العادات حتى بعد أن صار إمبراطورا. ولقد استغل صانعى النكات هذه العادة فذكروا أنه كان يظل يأكل ويأكل حتى ينام وذلك حتى فى المحكمة وكانوا لهذا يستهزئون به، ولم يثبه شيء عن مواصلة الأكل بنهم حتى حالة سوء الهضم الحاد التى تلى الإفراط فى الطعام لم توقفه<sup>(٣)</sup>. وينفس تحليل الطب النفسى يمكن تفسير ميل كلاوديوس للنساء، خاصة وأن سويتونيوس يذكر أن هذا الميل للنساء كان من غير رذيلة<sup>(٤)</sup>.

ومن ثم فإنه يمكن استنتاج أن اتهامات المؤرخين المتتولين لسيرته والتى تصل إلى حد السخرية منه، وتعليقات معاصريه أو تعنيف أقاربه إياه كانت أساسا ناتجة عن عدم فهم للحالة المرضية الخاصة بكلاوديوس من ناحية. وسوء التكيف الاجتماعى المبكر للحالة المرضية من ناحية أخرى وهذا يفسر المنظور الخاص لتلك المعاملة التى تلقاها من أسرته أو اقاربه بسبب تلك الإعاقة.

وفى الحقيقة إن الصور التى عرضت لملاح كلاوديوس والتماثيل النصفية التى تمثله فى السنوات اللاحقة عندما صار إمبراطور لا تعرض لنا ملاح شخصية منفرة وإنما تعرضه بملاح أشبه بعمه تيبيريوس مع بعض الاختلافات الطفيفة مثل نظرة العين حيث يتبين نظرة شخص اعتاد الحذر من شيء ما، خلافاً لنظرة تيبيريوس الهائلة<sup>(٥)</sup>. أما سُمك عضلات العنق لدى كلاوديوس فمرجعها إلى الغدد المتضخمة، وربما تضخمت (تورمت) نتيجة الجهد المبذول من جانبه فى إبقاء رأسه قائما منتصباً حتى يتجنب حركة اهتزاز الرأس اللاإرادية<sup>(٦)</sup>، وكما

(1) Suet. Claud. 33.2.

(2) Ernestine, op. cit. loc. cit

(3) Suet. Claud. 33.1.

كان نهماً للطعام والشراب فى كل وقت وحيثما كان، حتى أنه ذات مرة وبينما هو فى المحكمة فى الفوروم الأوغسطى إذ به يجد وجبة مجهزة للكهنة (Salii) قريبة منه فى معبد مارس، فما كان منه إلا أن غادر المنصة وقام إلى حيث الكهنة ليأخذ مكانه على مآدبهم وقام من المآدبة ممتلئ البطن والقم ثم ذهب لينام فى الحال راقداً على ظهره فاتحا فمه وسقطت ريشة فى حجرته فخفف قليلا من معدته.....".

"Cibi vinique quocumque et tempore et loco appetentissimus, cognoscens quondam in Augusti foro ictusque nidore prandii, quod in proxima Martis aede Saliis apparabatur, deserto tribunali ascendit ad sacerdotes unaque decubuit. Nec temere unquam triclinio abscessit nisi distentus ac madens, et ut statim supino ac per somnum hianti pinna in os indretur ad exonerandum stomachum".

(4) Suet. Claud. 33. 2.

كان منجرفاً تماماً فى شهوته تجاه النساء وكان محبا للألعاب كثيرا حتى عندما كان يقود مركبته كان يلعب أيضا ويهين وضع مركبته بحيث لا يقطع اللعب".

"Libidinis in feminas profusissimae, marum omnino expers. Aleam studiosissime lusit, de cuius arte librum quoque emisit, solitus etiam in gestatione ludere, ita essedo alveoque adaptatis ne lusus confunderetur."

(5) Suhr.E.G., "A portrait of Claudius" Am.J.Arch., 59 (1955), p. 319-322.

(6) Baring-Gould, The Tragedy of the Caesars, London (1923), p. 467; cf. Ernestine, op. cit., p. 84.

أن تضخم الرقبة قد يكون من أسبابه أيضا العوامل الوراثية أو يعود لممارسة الألعاب الرياضية مثل حمل الأثقال.

حقيقة مرض الإمبراطور كلاوديوس واستبعاده عن السلطة حتى عامه الخمسين

توضح صور كلاوديوس شفاءه من المرض فإن الصورة التي رسمها سويتونيوس له في مرحلة نضجه توضح كذلك نفس الشيء أى شفاءه اللهم استمرار بعض الأعراض الطفيفة إذ يصفه بأنه:

"لم يكن يفتر هيئة السلطة والوقار وبخاصة عندما كان يقف أو يجلس بهدوء (رزانة) أو متكئاً إذ كان يتميز (بملك) بقوام رشيق ووجه جذاب وشعره أبيض، ورقية ممثلة"<sup>(١)</sup>.

*Auctoritas dignitasque formae non defuit ei, verum stanti vel sedenti ac praecipue quiescenti, nam et prolixo nec exili corpore erat et specie canitieque pulchra, opimis cervicibus;*

ولكن سويتونيوس<sup>(٢)</sup> يعود ويصف مرة أخرى حالته المرضية التي سبق وذكرها وهو صبي رغم تأكيد على شفاءه من المرض! فيذكر أنه: عندما كان يسير كانت ركبته الضعيفتان تتراجعان تحته، كما كانت ملامحه كثيراً ما تبدو غير مقبولة خاصة في لحظات انهماكه بعمل. كانت ضحكته خالصة لا تصنع فيها. وغضبه أكثر إثارة للامتعاض حتى أنه ربما يرغبى ويزيد ويتقطر أنفه ثم أنه كان يتلثم في الكلام أحياناً ودائماً كان يرتعد بشدة خاصة عند بذل أدنى مجهود.

"كانت صحته معتلة فيما سبق وصارت ممتازة وهو إمبراطور باستثناء ألم المعدة الذى ينتابه".  
"Valitudine sicut olim gravi, ita principes prospera usus est excepto stomachi dolore".

وفى موضع ثانى يقول<sup>(٣)</sup>: بالإضافة إلى كرامته الشخصية فقد كان متواضعاً ولا يزهو بنفسه بسبب تقلد السلطة بل كان يزهد فى التسمية باسم إمبراطور رافضاً الألقاب الشرفية المفرطة.

فى موضع ثالث يقول سويتونيوس<sup>(٤)</sup>:

"وفى حكمه للقضايا واتخاذ القرارات فيها كان لديه تناقضا عجباً فى المزاج الانفعالى فبينما كان متأنياً وثاقب الفكر نجده أحياناً أخرى متعجلاً وغير مكترث بل تجده أحياناً أحمقاً (هائجاً) كالمجنون".

*"In cognoscendo autem ac decernendo mira varietate animi fuit, modo circumspectus et sagax, interdum inconsultus ac praeceps, nonnumquam frivulus amentique similis".*

هكذا فإن رواية سويتونيوس لا تسلم من الاضطراب فى الوقت الذى نجده يمنحه نجده يذمه أيضاً<sup>(٥)</sup>!

(1) Suet. Claud. 30.

(2) Suet. Claud. 30; 31.

(3) Suet. Claud. 21.1; cf. Tac. Ann. XI. 25.

أن تاكيوتوس وهو يروى أعمال الإمبراطور كلاوديوس أثناء توليه منصب الرقيب يذكر أنه رفض اقتراح القصل بأن يطلق عليه لقب أبو السناتو كذلك رفض كلاوديوس فى الخطاب الموجه إلى شعب الإسكندرية مظاهر التأليه التى قدموها له (See: P. Lond 1912.)

(4) Suet. Claud. 15; cf. Seneca, Apoc. 12. p. 398.

(٥) إن هذا التناول المضطرب لسيرة كلاوديوس والتناقض تكرر فى روايات المؤرخين القدامى، حيث يركز المؤرخون القدامى على إبراز الجوانب السلبية والإيجابية أيضاً فى شخصية كلاوديوس، هذا التناقض فى الشخصية جعلها أشبه ما تكون بلغز محير!

ويبدو أن المؤرخين القدامى أصروا على التأكيد على تلك الإعاقات الجسدية، التي عاش بها كلاوديوس في صغره، حتى رغم تحسنه الواضح حين نضج وحين صار إمبراطور، وذلك باعترافهم هم أنفسهم، فمثلاً ديوكاسيوس<sup>(١)</sup> يذكر أن كلاوديوس هو الذي ادخل بدعة الجلوس إذ كان يلقي خطابه على السناتو وهو جالساً. فيبدو أن كلاوديوس حتى يركز على القراءة دون الاضطرار إلى مقاومة الميل اللاإرادي لديه أثناء الوقوف فإنه كان يلجأ إلى الجلوس مثلما كان يتغلب على تلثمته في الكلام (على نحو ما يذكر تاكتيوس<sup>(٢)</sup>) وكذلك سويتونيوس<sup>(٣)</sup> عندما كان يقرأ مخطوط أو يلقي كلاماً من الذاكرة بلهجة خطابية منمقة. إن هذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على رغبة كلاوديوس في تخلصه من بقايا بعض الأعراض المرضية التي ظلت تلازمه عند الكبر.

وبخلاصة ما سبق ... فإنه من اليسير تفهم سر تلك التصرفات غير الطبيعية التي صدرت من كلاوديوس وذلك بسبب تلك الحالة المرضية التي أصابته عند الصغر، ومن ثمّ فإنه كان موضع استياء وقلق من أسرته الإمبراطورية. ولكنه مثل أي شاب طبيعي من أسرة راقية لديه طاقة كان يوزعها بين حب الطعام واللعب والمرح والصدقة مع غيره من أبناء الطبقات الراقية .. ولعل شعوره بتعنيف الأسرة له أحياناً جعله ينعزل اجتماعياً ويلجأ إلى عادات رآها المؤرخون القدامى سيئة مثل الإكثار من لعبة النرد أو الصحبة مع أفراد أقل منه اجتماعياً. ومن ثمّ فإن كلاوديوس قد مر بمرحلة طفولة ومراهقة تجمع بين الإهمال تارة والتعنيف على اللزمات الغريبة الخرقاء تارة أخرى، والعناية والمساعدة تارة ثالثة. فهو أمير عضو ضمن أفراد آل بيت جدته لأبيه ليفيا ومن ثمّ فإن حالته تحسنت بالتدريج من خلال عناية خاصة من أسرته بل قد يكون اهتمام شخصي من كلاوديوس نفسه ورغبة منه في تحدى المرض والشفاء منه، ومن ثمّ كان تقدمه الملحوظ في الدراسة لدرجة أدهشت أغسطس، ورغبة قوية من ليفيا في توليه العمل العام، كذلك فإن صور تماثله وشهادة المؤرخين القدامى أنفسهم تشهد أن صحته كانت معتلة فيما سبق إلا إنها كانت ممتازة عندما صار إمبراطوراً وأن ما تبقى من أعراض تظهر مع الإجهاد العصبي المفرط تحت ضغط الإشارة<sup>(٤)</sup>. ورغم كل هذا إلا أن الكتاب القدامى ظلوا يتهكمون على تلك الأعراض المرضية وسجلوها باعتبارها نقاط مذمومة وركزوا عليها وقد بالغوا في كتابتهم وجعلوه موضع للسخرية والاستهزاء خاصة سنيكا<sup>(٥)</sup> وسويتونيوس<sup>(٦)</sup>.

See: Suet. Claud. 6.1, 12.3; 17; 18; 20; 21; 34; 35.6; 36; 37; 39.2; 40.3.; Tac. Ann. XI, 25.7; XIII. 3.2; Dio, 60. 2.4; 3.2, 5; 5.1; 6.1; 7.4; 11.6-8; 12; 16.3; 27.5; Dio. 61.10. 2.

(1) Dio. 60.2.

(2) Tac. Ann. XIII, 3.

(3) Suet. Claud. 4. 6.

(٤) حدث هذا عندما فشل ذلك العرض الضخم الذي خطط له بعناية عن مشروع جرف مياه بحيرة أوستين فصدر عنه سلوك جعله موضع تهكم المؤرخين، فعندما أصيب بالإحباط فقد سيطرته العضلية فكان يمشى بطول شاطئ البحيرة وارتي إلى مشيته الطفولية المتثاقلة حيث يجر قدميه. (cf. Suet.Claud. 21.6)

(5) Seneca Apoc. 5.2; cf. Osgood, Josiah. "The vox and Verba of an Emperor: Claudius, Seneca and Le Prince Ideal". The classical Journal 102, no. 4. (2007) 329.

(6) Suet. Claud 8.

يذكر سويتونيوس أنه كان أحياناً يستيقظ على صوت سباط المهرجين أو أنهم يستخدمون أيضاً خفين فيضمونها على يدي كلاوديوس وهو يصدر شخيره أثناء نومه بحيث إذا نهض فجأة يفرك عينه أو وجهه بهذين الخفين!

وبعد تناول مرض كلاوديوس وقد أطلت فيه وذلك لأنه يعد عاملاً أساسياً في اتهامات عديدة لصفت بكلاوديوس مثل وقوعه تحت سيطرة عبيده المحررين أو زوجاته<sup>(١)</sup> وتصوير المؤرخون له أنه كان دمية في يدهم يحركونه كما يشاءون، أو اتهمه بالحمق والبلادة<sup>(٢)</sup> وعدم أحقيته في الحصول على منصب عام أو الوصول إلى عرش الإمبراطورية، وانشغاله بدراساته الأدبية. ومن ثم فإننا نستكمل البحث في مناقشة هذا الأمر الأخير، وهو اهتمامات كلاوديوس الأدبية أو ثقافته وإلى أي مدى كان تأثيرها على شخصيته وفكره السياسي من ناحية وعلى فكرة استبعاده عن السلطة من ناحية أخرى.

أما عن ثقافته واهتماماته الدراسية فإن الشاب الأمير الحساس يبدو أنه شعر بعداء خفي أو إهمال في نفوس أقرابه وهذا جعله يهرع إلى الدراسة الأدبية يبتغي في ظلال التاريخ الوارف زاده. يذكر سويتونيوس<sup>(٣)</sup> أن كلاوديوس كان شغوفاً تماماً لدراسة الفنون والآداب العقلية الحرة Liberalia Studia، وقد كتب عشرين كتاباً عن تاريخ الاتروسكيين وثمانية كتب حول القرطاجنيين<sup>(٤)</sup> ويبدو أن هذه الكتابات كانت بتشجيع من أستاذه ليفيوس Livius ومساعد سوليبيكيوس F.Sulpicius. حيث يتضح تأثره بكتابات أستاذه وتوجهاته من خلال اهتمامه بتلك الفترة التاريخية بعينها وهي التي كتب فيها أيضاً أستاذه ليفيوس (أعنى كتابه عن تاريخ ملوك روما وكذلك كتبه عن حروب روما مع قرطاجة<sup>(٥)</sup>). إن هذه الأعمال كتبت بلغة المتقنين المألوفة أي اليونانية، وهذا يلفت الانتباه إلى ثقافة كلاوديوس<sup>(٦)</sup> لقد تحققت لهذه الكتابات أن يقرأها المتقنون عامة، خاصة بعد اعتلاء كلاوديوس للسلطة حيث كانت هذه الكتابات تدرس بشكل مستمر على مدار العام داخل موسيون الاسكندرية في المبنى الملحق به والذي يسمى باسم المؤلف نفسه (الكلويداني)<sup>(٧)</sup>.

هذه الكتابات لا يمكن معرفة ما إذا كان كلاوديوس قد كتبها وهو إمبراطور أم كانت من دراساته الخاصة التي كتبها في شبابه، حيث أن ملاحظة سويتونيوس غير مرتبة ترتيباً زمنياً إلا أنه من المؤكد أن شغف كلاوديوس بالقراءة واهتماماته التاريخية التي ظهرت في شبابه Adulescentia على نحو ما يذكر سويتونيوس، بدأت معه وهو صغير وظلت معه طوال حياته ولعل الكتابه عنده صارت عادة حتى حين صار إمبراطور<sup>(٨)</sup>.

(1) Tac. Ann. XI. 30; 35; 38; XII, 53; Suet. Claud. 36

(2) Seneca. Apoc. 3.2, 4. p. 374.

(3) Suet. Claud. 40. 3.

(4) Suet. Claud. 42.2

(٥) راجع ليفيوس في حاشية رقم ٣٥.

(6) Suet. Claud. 42.1

يشير سويتونيوس إلى ميل كلاوديوس للغة اليونانية ويتضح ذلك عندما أعلن في خطابه في السناتو أن إقليم أخايا عزيز عليه بسبب الثقافة المقارنة، كما أنه كان يستشهد في خطبه بكثير من السطور الشعرية لهوميروس

Cf. Bardon, op. cit. p. 127

(7) Suet. Claud. 42. 2.

(8) Suet. Claud. 41.; cf. Roller. W. D.. Scholarly Kings: The writing of Juba 11 of Mauretania, Archelaos of Cappadokia, Herod the Great, and the Emperor Claudius. Chicago III, Ares Publishers, 2004.

تشير القرائن أنه كان لكلاوديوس أسلوبه الخاص الذي يظهر في خطبه وأقواله وتؤكد على ذلك سمولود "Smallwood" مرجع سبق ذكره، "رافضة أقوال المؤرخين القدامى وعلى رأسهم تاكلتيوس (Tac. Ann. XI. 13, 14.) وسويتونيوس (41.3) أن أقوال كلاوديوس

فى الواقع أن كلاوديوس تأثر بشكل كبير بكتابات أستاذه ليفيوس، وتأثره بالغزو الثقافى اليونانى واضح فى إعجابه باللغة اليونانية والحديث بها وفى قراءته فلهذا أراد أن يفهم تلك الشعوب الحضارية القريبة منه خاصة وأن الأتروسكيين أيضا ثقافتهم يونانية<sup>(١)</sup> فهو لم يهرب من روما إلى دراسة أعداءها، كذلك إعجابه واهتمامه باللغة اليونانية جعله يتخذ يونانيين أصدقاء له وهو صغير و يفسر أيضاً نكتته فى طبقة العبيد المحررين خاصة اليونانيين منهم (ناركسوس، بالاس، كالتوس). أما فيما يخص كتاب كلاوديوس عن تاريخ روما فقد انطلق من حادث اغتيال يوليوس قيصر. وقد بقى منها فى زمن سويتونيوس ٤٣ كتاباً، الكتابان الأولان منها كانت تتناول سنتى ٤٣-٤٤ ق.م. ثم كانت هناك فجوة، إذ أن أمه انطونيا وجنته ليفيا أقنعاه بأن يترك فترة الإعتلاف الثانى<sup>(٢)</sup> (ذلك الإعتلاف الثلاثى الذى كان بين اوكتافيوس وانطونيوس وليبيدوس)، بمعنى أنه واصل كتاباته راءياً لأحداث عام ٢٧ ق.م. إلى نهاية عهد أغسطس ١٤ م. ويكون جملة ما سرده من أحداث هو ٤٣ عاماً.

إن اهتمام كلاوديوس بأن يبدأ كتابة تاريخه بعصر يوليوس قيصر يبدو أيضاً أنه كان بتشجيع من أستاذه ليفيوس ونتيجة تأثره بكتابه وهو الذى فضل أن يكتب هو الآخر تاريخه من منظور فى بعودة لجذوره، عالم قيصر وشيشرون<sup>(٣)</sup>، إلا أن كلاوديوس حين كتب هذا العمل عن تاريخ روما والذى يحمل ثمانى مجلدات<sup>(٤)</sup> اختلف إلى حد ما عن كتابته عن تاريخ الأتروسكيين وقرطاجة، فهو فى هذا العمل يحمل اهتمام شخصى فهو من نسل امبراطورى وعضو فى الأسرة الحاكمة، وهو معاصر لهذا التاريخ تقريباً. وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل وهو لماذا نصحته أمه انطونيا وجنته ليفيا بترك الكتابة عن الإعتلاف الثانى؟

لقد كتب كلاوديوس كتاباً عن تاريخ الحرب الأهلية منذ مقتل يوليوس قيصر<sup>(٥)</sup>. لعلنا نستشعر من هذا العمل روح المؤلف وهو ميله للجمهورية، ألم يعلن والده دروسوس من قبل إخلاصه للجمهورية وقيل إنه لم يكتف رغبتة فى استعادة الشكل القديم للحكم فى حال تقلده للسلطة<sup>(٦)</sup>. لهذا السبب اجتراً البعض وكتب يقول أنه كان موضع شك فى نظر أغسطس، إلى حد القول أن أغسطس تخلص منه بطريق السم<sup>(٧)</sup>.

---

كانت نوعاً من الحنلفة وسعة المعرفة - مثل اقتراح الإمبراطور إضافة ثلاثة حروف جديدة إلى الأبجدية اللاتينية أو نصحه باستعمال دواء ضد عضه الثعبان.

(١) توينبى، تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة رمزى جرجس وصقر خفاجة، القاهرة ٢٠٠٣، ص ٢٦٠.

(2) Suet.Claud. 41.2; cf. Burns, Jasper. Great Women of Imperial Rome. Mothers and Wives of the Ceasars. New Yourk, Routlege, 2007

(٣) أحمد عثمان، المرجع السابق، ص ١٠ حاشية ١.

(4) Suet. Claud. 41. 2

(5) Suet. Claud. 41. 2.

(6) Suet. Claud. 1. 4.

(7) Suet. Claud. 1. 5.

يذكر سويتونيوس أن الإمبراطور استدعاه من إقليمه ولما لم يمثل للأمر فى الحال تخلص منه عن طريق السم.

فهل كان حزن أغسطس على دروسوس والذي تذكره المصادر الأدبية<sup>(1)</sup> حقيقياً أم كان زائفاً؟ وهل لما فرض على تيبريوس تبني جرمانيكوس<sup>(2)</sup> بن دروسوس واخو كلاوديوس، هل كان لأحقية في الخلافة بعد تيبريوس، بسبب انتسابه إلى الدم الأوغسطي عن طريق والدته ابنة اوكتافيا أخت أغسطس، وهو بذلك يستحق الترشيح للخلافة أكثر من دروسوس الصغير ابن تيبريوس من زوجته الأولى Vipsnia ابنة أجريبا؟ أم أن تبني جرمانيكوس كان بسبب غز ضميره؟ هذا محتمل أيضاً، لأن في رأينا إذا كان أغسطس يحب دروسوس كل هذا الحب لماذا لم يتبناه في حياته؟ هل كان يخشى طموحه وأفكاره؟ إنه لم يتبن حتى أخوه تيبريوس إلا بعد موت أحفاده جايوس ولوكيوس<sup>(3)</sup>؟ وهل كان ذهاب تيبريوس إلى رودس وانعزاله ست سنوات<sup>(4)</sup> بسبب حزنه على أخيه وتشككه في مقتله على يد أغسطس؟ ربما يكون هذا محتملاً أيضاً.

على أية حال لا شك أن كلاوديوس حين كتب هذا العمل، كان في جعبته ذكرى والده، والذي كان بالنسبة له - ولغيره - بطلاً، ولعل كلاوديوس الطفل اليتيم المريض، وهو يلقي من أقاربه الزجر والنهر، تصور أنهم ربما كانوا سيعطفون عليه أكثر من ذلك لو كان والده حينذاك على قيد الحياة. إن هذا الشعور لابد وأن قاده إلى توفير لوالده وللأشياء التي كان يفعلها أو يفكر فيها. ولعل والدته وجنته قد عارضتا (الحرية والصراحة) اللتين تحدث بهما عن فناء الجمهورية<sup>(5)</sup>. والذي يؤكد هذه الفرضية إعجابه الشديد بشيشرون والذي حكم عليه اجداده انطونيوس واوكتافيوس بالإعدام. ربما لم يكن من الحكمة أن يذكر هذا علناً وهو في مرحلة المراهقة إلا أننا نلمح شأه على

(1) Suet. Claud. 1. 5

سويتونيوس الذي اتهم أغسطس بالتخلص من دروسوس يذكر أيضاً مدى حب أغسطس له وكيف لما مات نعاها نعيّاً حقيقياً أمام الناس وكتب أغسطس نبذة عن حياة دروسوس على مقبرته لعم اقتناع الإمبراطور بأن تنقش له فقط عبارة مدح وتمجيد بأبيات شعرية على قبره.

(2) عن مشكلة الخلافة راجع

Boardman. J. Griffin. J. & Murray. O., The Roman World, 1989, pp. 137 ff.; Salmon, E.T., A History of the Roman World, 30 BC to AD 138, London 2004. pp. 33-38; Wells. C., The Roman Empire, (London, 1992), p. 62, 66-68,

يعرض ولز أسباب أخرى لانعزال تيبريوس في رودس وأهمها إرغام تيبريوس على ترك زوجته فيبسانيا Vipsania (ابنة أجريبا من زواج ميكس) التي يحبها ويتزوج من جوليا ابنة أغسطس اللعوب، وكذلك تفضيل أغسطس لأحفاده الصغار أبناء أجريبا وجوليا وهما جايوس ولوكيوس وتبنيهما.

(3) Cf. Wells. Ibid., loc. cit.

لقد مات جايوس عام ٤م، ولوكيوس عام ٢م. ويرى ولز أن أغسطس حين تبني أحفاده كان قد حصل على لقب أبو الوطن وبالتالي استطاع أن يفعل في هذه الفترة ما لم يفعله في عام ٢٣ ق.م. حين كانت المعارضة شديدة ضده أما الآن فقد توجت سلطاته بحصوله على لقب أبو الوطن وصار مركزه لا يقل عن مركز الملك أنظر:

Salmon, E. T. The Evolution of Augustus, Principate. Historia, VI (1956), pp. 450-459, 470-475; cf. Shackleton, Bailey D.R. Adoptive Nomenclature in the late Roman Republic, Atlanta, Scholars Press, 2nd. Ed., 1991

(4) Wells. op. cit. loc. cit.

(5) Suet. Claud. 41.2; cf. Brunt. P. A., The Fall of the Roman Republic and Related Essays (Oxford U.P. 1988).

الخطيب المفوه من حقيقة كتابه "دفاع عن شيشرون ضد اسينيوس جالوس"<sup>(١)</sup>. Ciceronis defensionem "adversus Asini Galli libros"

فهل كان سبب رفض أمه وجده الكتابية عن الإكتلاف الثاني، هو خوفهما من الزج بأسماء أشخاص من الجمهوريين، والتعرض لأعمالهم بالنقد (سلبا أو ايجابا)؟ هؤلاء الذين وقفوا ضد أوكتافيوس وانطونيوس، في حين أن أوكتافيوس حين صار الإمبراطور أغسطس، كان قد بدأ باعتلائه السلطة سياسة المصالحة مع تلك الأرستقراطية القديمة؟<sup>(٢)</sup> وهل أراد كلاوديوس في كتابته عن روما، تبرير عصر لم يصنع هو أحداثه؟ إن كلاوديوس بكتابته عن عصر الجمهورية، كان كمن يدمر أناساً على درجة عالية من الأهمية<sup>(٣)</sup>.

لاشك أن شجاعة كلاوديوس في اتخاذ موقفا متعارضا مع الاتجاه السائد في ذلك العصر ومتعارضاً مع تحيز الأسرة الحاكمة، لا يمكن أن يكون قد دلّ على خلل عقلي لدى كلاوديوس بالنسبة لأقاربه خاصة أمه وجده، إلا أن الشاب الصغير حين ألقى ظلال الشك على شرعية الفترة الإمبراطورية منذ بداية عصر أغسطس، يبدو أن هذا كان سببا في عزله المجتمعية، وفي أن الأسرة تخلت عن كل أمل لها في جعله شخصاً مناسباً لتولى مسؤولية وظيفة العمل العام في عهد الإمبراطور أغسطس<sup>(٤)</sup>، خاصة وأن النيران كانت لا تزال مشتعلة تحت رماد خيانة الجمهورية، ولكن جاذبية الموضوع ظلت قوية<sup>(٥)</sup>.

إن هذه الفرضية المتعلقة باستبعاد كلاوديوس في مرحلة شبابه على يد أقاربه من السلطة وممارسة العمل العام، نتيجة لأفكاره وصراحته وليس لمرضه وعدم أهليته، يؤكدّها وضع كلاوديوس في عهد خليفة أغسطس الإمبراطور تيبيريوس (عم كلاوديوس)، والذي كان يسير على نهج أغسطس في سياسته<sup>(٦)</sup>.

(1) Suet. Claud. 41. 3.

(2) Lacey. W. K., "Octavian in the Senate, January 27 BC", JRS. 44 (1974), pp. 176-84; Crook, J.A., Consilium Principis: Imperial Councils and Counsellors from Augustus to Diocletian (Cambridge U.P., 1955; Earl Donald, The Age of Augustus. London, 1968.

(3) Syme, R. The Augustan Aristocracy, Oxford U. P., 1986; Jones, A.H.M. The Criminal Courts of the Roman Republic and Principate (Oxford, Blackwell, 1972; Brunt. op. cit. ch. 5 & 6.

(4) cf. Suet. Claud. 4. 7.

ينكر سويتونيوس أن أغسطس لاشك قرر لاحقا أن يترك كلاوديوس بلا وظيفة بخلاف منصبه في الكهنوت. ولم يسميه كأحد ورثته باستثناء أنه اعتبره من ورثته من الدرجة الثالثة. والميراث الذي تركه له لا يتجاوز ٨٠٠ ألف سستركس ويترى سكرموزا (Scramuzza, op. cit. p. 39) أن السبب في هذا ربما لصراحته أو نقده لأوكتافيوس أما قولها لأن نسبه ينتهي إلى أنطونيوس، فهو غير مقبول لأن أوكتافيوس أغسطس هو نفسه الذي فرض على تيبيريوس أن يتبنى جرمانيكوس أخو كلاوديوس ليكون خليفة من بعده!

(٥) ظل فريقا من الأرستقراطيين ينعون الجمهورية في عهد أغسطس حتى عام ٢٣ ق.م حين أحيطت مؤامرة ضد أغسطس، بعدها أقدم أغسطس على تسوية عام ٢٣ حينئذ تنازل عن السلطة الفعلية حتى لا يثّم أنه دكتاتور ويُغتال مثل أبيه بالتبني يوليوس قيصر. Cf. Jones, A.H.M. Studies in Roman Government and Law (Oxford, Blackwell, 1960; id., The Imperium of Augustus, JRS, 41 (1951). pp. 112-119; Cf. Bouman, R.A. The Crimen Maiestatis in the Roman Republic & Augustan Principate, Johannesburg, 1967.

(٦) إن اتباع تيبيريوس لقاعدة الحكم الأوغسطي هي التي جعلته يشدد مع جرمانيكوس ولي العهد ابن دروسوس حين زار مصر بدون إذنه (Boardman and others, op.cit., p. 139 & p.142.)



حقيقة مرض الإمبراطور كلاوديوس واستبعاده عن السلطة حتى عامه الخمسين

إن تقلد تييريوس للسلطة بعد أغسطس أشار آمال لدى كلاوديوس في أن يتخذ مساراً سياسياً جديداً، فتقدم إلى الإمبراطور طالبا إياه أن يلتحق بسلك الوظائف الشرفية<sup>(١)</sup>. ولا يُعرف متى تقدم بهذا المطلب، ولكن من المعروف أنه احتفل بعيد ميلاده الثالث والعشرون، بوصوله السن التي فيها اعتاد الرجال تقلد منصب الكوايستور، في شهر أغسطس عام ١٤م<sup>(٢)</sup>، وعندما مات أغسطس في ١٩ من نفس الشهر، كانت انتخابات القناصل قد أقيمت، ولكن لم تكن قد فتحت لأولئك المرشحين لوظائف أقل، ربما في هذه الفترة كان طلب كلاوديوس منصب القنصل فأعطاه عمه تييريوس تشريفات القنصل *Consularia Ornamenta*.

وعندما ألح كلاوديوس في طلب المنصب الفعلى أجاب تييريوس بهذه العبارات:

"إنه أرسل إليه أربعين قطعة ذهبية بمناسبة احتفالات ساتورناليا وسيجيلاريا<sup>(٣)</sup>.

"quadraginta aureos in Saturnalia et Sigillaria misisse ei".

بهذا الفتور في الرد جاء رفض تييريوس مؤكداً، ويعلق سويتونيوس على هذا الموقف بقوله، ثم أخيراً تخلى كلاوديوس عن أمله في الترقى واستسلم للبطالة واكتفى بالالتزام بمنزله وحدائقه في الضواحي، وأحياناً في فيلا في كامبانيا.

"علاوة على علاقته بأناس من الطبقة الدنيا الحزب القديم المشهور بالسُّكر والقمار والرنيلة<sup>(٤)</sup>.

*Atque ex contubernio sordidissimorum hominum super veterem segnitiae notam ebrietatis quoque et aleae infamiam subiit...*

ويكمل سويتونيوس في نفس الفقرة، كذلك رفض تييريوس اقتراح آخر بضرورة إدلاء كلاوديوس برأيه ضمن آراء القناصل<sup>(٥)</sup> ويعمل سويتونيوس هذا الرفض لأن تييريوس رأى في كلاوديوس وهناً وضعفاً في شخصيته *Imbecillitatem*.

أليس غريباً أن يكون هذا الوهن رآه تييريوس فقط، ولم يراه رجال السناتو الذين اقترحوا ضرورة إدلاء كلاوديوس برأيه مع القناصل! ألا يمكن أن يكون هذا الانحياز من جانب السناتو لرؤيتهم أن كلاوديوس بوجوده في السلطة يكونوا قد كسبوا تأييداً مهماً من أحد أفراد الأسرة الإمبراطورية، يميل إلى الاتجاه الجمهوري، وهو ما أشرنا إليه من خلال كتاباته التي خشيت منها أمه وجنته.

إن هذا الإهمال السابق من تييريوس لكلاوديوس الذي يبدو متعمدا لا يمكن أن يُعزى إلى قصور في شخصية كلاوديوس، إن علينا أن نبحث عن أسباب أخرى تفسر هذا الإهمال. ولعل الإجابة تكمن ليس فقط في التخوف من

(1) Suet. Claud. 5.

(2) Suet. Claud. 2. 1.

(3) Suet. Claud. 5.

(4) Suet. Claud. 5;

يذكر سويتونيوس في نفس الفقرة أنه "مع ذلك لم يفقد اهتمام الأفراد ولا احترام العامة!" أن تتناقض سويتونيوس في ذكر الشيء وعكسه تكرر في أكثر من مناسبة. (راجع فيما يلي ص ٢٨ وحاشية رقم ١١٢، ١١٣) حيث يذكر سويتونيوس احترام الفرسان أيضاً لكلاوديوس.

(5) Suet. Claud. 6. 2.

أفكاره، وهي التي خشى منها أغسطس من قبل، وتيبريوس بلا شك هو الآخر كان يسير على سُنَّة أغسطس، إنما أيضاً من الواضح أن كلاوديوس كان شخصية اجتماعية على العكس من تيبريوس<sup>(١)</sup> وله أصدقاء عديدين من طبقة السناتو. وهذا يتضح من اقتراحهم السابق بضرورة إدلاء كلاوديوس برأيه مع القناصل، ويتضح ذلك أيضاً من الأسماء المرموقة لعائلات خطيباته وزيجاته المتعددة<sup>(٢)</sup>، وأسماء أصدقائه مثل أيليوس سيانوس<sup>(٣)</sup> Aelius Seianus، قائد الحرس البريطوري الذي لعب دوراً بارزاً في عهد تيبريوس، وكذلك علاقته بعائلات فيتاليوس Vitellii وبيترونيوس Petronii وبلوتيوس Plautii<sup>(٤)</sup>.

إن هذا يعني أن تمجيد كلاوديوس لأسرته، لم يمنعه من الاختلاط بكثير من الأرستقراطيين بل وبأفراد أقل منه اجتماعياً أيضاً. وإذا أردنا أن نتعرف على علاقاته مع تلك العائلات الأرستقراطية فإن زوجة كلاوديوس الأولى هي أورجولانيللا<sup>(٥)</sup> Urgulanilla من عائلة بلاوتيوس، التي نال والدها تكريماً في مهرجان نصره، وقد انجب منها ابنته كلوديا، وقد طلقها بسبب خلاتها، والشك في ارتكابها جريمة قتل. وزوجته الثانية هي إيليا بايتينا<sup>(٦)</sup> Aelia Paetina، وقد طلقها هي الأخرى لإساءة صدرت منها. وزوجته الثالثة هي ميسالينا Messalina ابنة قريبته ميسالا بارباتوس Messala Barbatus، وهي أم أطفاله بريتانيكوس وأوكتافيا، وقد اصدر عليها الإمبراطور حكم الإعدام بسبب أفعالها المخجلة وفجورها<sup>(٧)</sup>، وقد قرر بعدها البقاء بدون زواج بسبب فشل زيجاته، ولكنه أخيراً تزوج من أجريينا الصغرى ابنة أخيه جرمانيكوس، وأمها هي أجريينا الكبرى حفيدة أغسطس. والحق يقال أن زيجاته الأربعة رغم إنهن كن من طبقة النبلاء، إلا انهن كن يتصفن بالخسة واللثم وأكثرهن في هذا الطبع ميسالينا وأجريينا<sup>(٨)</sup>.

(١) كان تيبريوس شخصية انطوائية وقد بدأ في عهده تطبيق قانون الخيانة العظمى "maiestas" على أعدائه وخاصة من طبقة السناتو. عن المحاكمات التي تمت في عهده راجع:

R.S. Rogers, Criminal trials and criminal legislation in the reign of Tiberius, Middletown, 1935.

(2) Ernestin, op. cit., p. 85-86.

يرى إيرنستين أن تعدد حالات زواج كلاوديوس لابد أن يُدرس في ضوء تعرضه للإبعاد أثناء مرحلة الطفولة لأنه لابد كان لديه تلك الرغبة التواقة بأن يُنظر إليه كفرد طبيعي مرغوب فيه في المجتمع، وفي رأينا أن تعدد حالات زواج كلاوديوس لم يكن أمراً غريباً لأن أغسطس هو الآخر تزوج ثلاث مرات، خاصة و أن سويتونيوس اعترف بأن كلاوديوس لم يكن ميالاً إلى الرذيلة بطبيعته.

(3) Wells, op. cit. p. 37, 87, 102; Syme. R., Tacitus, Oxford, U.P., 2. vol. (1958), p. 398-407; 752-754.

(٤) بالنسبة لعائلة فيتاليوس (Vitellius) راجع: Heurgon. J., CRAI (1953) p.29 ff. Syme. ibid, vol.1, p.386; وبالنسبة لعائلة بلاوتيوس (Plautius) راجع:

Taylor. R., MAAR. 24 (1965) p. 7 ff; cf. Hallett. J. R. Women and the Elite Family (Princeton U.P., 1984).

(5) Suet. Claud. 26. 2.

(6) Suet. Claud. loc. cit.

(7) Suet. Claud. loc. cit.; cf. Tac. XI. 36.

راجع عند تاكيوس قضية ميسالينا واتهامها بالزنا مع "سيلبيوس Silius".

(8) Cf. Tac. Ann. XI.1.1, 2; 3, 2; Suet. Claud. 27; Dio. 60. 5, 7.

إن الطموح السياسي لدى المرأتين كان معلوماً - إلى جانب الانحراف الشهواني لدى الأولى الذي وصل بها الأمر إلى زواجها من رجل ثاني هو سيلبيوس! أما الثانية فقد خططت للتخلص من خطيب أوكتافيا ابنة كلاوديوس حتى تؤمن العرش لابنها نيرون بزواجه من أوكتافيا وتبنى كلاوديوس له.

حقيقة مرض الإمبراطور كلاوديوس واستبعاده عن السلطة حتى عامه الخمسين

ويعيدا عن الحديث عن سوء حظه مع النساء<sup>(١)</sup>، فإنه يمكن القول إن مجرد علاقة كلاوديوس بأسر كبيرة أرستقراطية، ترغب في الزواج منه، أو إقامة أواصر صداقة ومصاهرة هي تعكس أمرين:

الأمر الأول: أن كلاوديوس شخصية مرغوب فيها، فهو من الأسرة الإمبراطورية وبالتالي سوف يشبع طموحاتهم، مما جعل كثير من العائلات المرموقة ترى فيه زوجا مناسباً لكي تخطب بناتها له، ولو أنه كان في شبابه ليس سوى العقل، ما كانت تلك النساء يقبلن الزواج منه!

الأمر الثاني: هذه العلاقات مع الأسر الأرستقراطية، ربما توضح سبب تخوف تييريوس من كلاوديوس، فإن سعى هؤلاء إلى التقرب من كلاوديوس، وعمل علاقات قوية معه قد يكون لأنهم رأوا فيه الشخص المناسب لتقلد السلطة الإمبراطورية بعد تييريوس، أليس كلاوديوس هو أخ جرمانيكوس محبوب الشعب وأغسطس. إننا نقرأ في المصادر القديمة أن كلاوديوس حين تولى منصب البرينكس، كان هو الآخر له شعبية كبيرة<sup>(٢)</sup>.

هذه الفرضية يمكن الاستدلال عليها من خلال معرفتنا بالأحداث، التي واكبت وفاة جرمانيكوس، و ردود الأفعال المصاحبة لهذا الحدث الجلل.

لقد اتصف الموقف السياسي بعد وفاة جرمانيكوس (عام ١٩) منذ يوم ١٩ أكتوبر إلى يوم ٢٢ إبريل (عام ٢٠)، بعدم الاستقرار والوضوح، وربما تساءل أصدقاء كلاوديوس بعد وفاة جرمانيكوس هل ستبقى سلطتهم في ظل حكم القيصر دروسوس الصغير (ابن تييريوس)، فبالنسبة لهم كان تقدم كلاوديوس شقيق جرمانيكوس بدلا منه أمرا جذابا، وقد قيل أن التحريض من جانب كلاوديوس تواصل على الأقل حتى نهاية عام ٢١م.، عندما تم إعدام الشاعر كلوتوريوس بريسكوس Clutorius Priscus، بعد القصيدة التي نظمها وألقاها في أحد الصالونات الأرستقراطية، وكانت تتضمن رثاء لموت القيصر دروسوس، وكان هذا افتراضا مسبقا منه بذلك الحدث<sup>(٣)</sup>. وفي يوم ٢٢ إبريل تسلم دروسوس الصغير السلطة التريونية، وبهذا وضح جليا الاتجاه الجديد في أن تييريوس بعد وفاة جرمانيكوس، أراد أن يجعل ابنه دروسوس ليس فقط وريثه الطبيعي في الحكم، وإنما يجعله مشاركا له في السلطة قبل وفاته<sup>(٤)</sup>.

CF. Smith M.S., "Greek precedents for Claudius' action in AD 48 and later". Classical Quarterly, New series vol 13, no. 1 (1963) pp. 139-144.; Godolphin. F.R.B., "A note on the marriage of Claudius and Agrippina"., Classical Philology, vol. 29, no. 2 (1934), pp. 143-145.

(1) Suet. Claud. 26. 1.

لقد خطب كلاوديوس مرتين ولم يتم زواجه. أما الأولى فهي إيميليا ليبيدا (Amilia Iepida) وقد استبعد زواجه منها بسبب أن والديها أساءوا إلى أغسطس، والثانية هي كاميليا Camila من نسل أسرة كاميلوس Camillus الدكتاتور العريقة، ولم يسعفه القدر أن يتزوجها إذ مرضت وماتت في نفس اليوم الذي كان مقرراً فيه الزواج.

(2) Suet. Claud. 12.

(3) Tac. Ann. III. 49 ff.

(4) Tac. Ann. III. 56.

وبالطبع لم يروق هذا الاتجاه لكلاوديوس، وفي هذا السياق نذكر مقولة ذكرها سويتونيوس<sup>(١)</sup> وهي أن ليفيلا Livilla شقيقة الإمبراطور كلاوديوس ما أن سمعت بتلك النبوءة التي تزعم أن كلاوديوس سوف يعلى عرش الإمبراطورية يوماً ما، حتى رثت على شعب روما (أن يحكمهم كلاوديوس)!

وإذا افترضنا صحة تلك المقولة، التي ذكرها سويتونيوس ضمن تلك الأدلة التي جمعها عن أوصاف كلاوديوس السلبية من أقاربه الأكبر سناً (أقوال أمه وجدته وأغسطس)، وجعلها ضمن أداة إدانة لكلاوديوس، فإن مقولة ليفيلا شقيقته ربما ترجع إلى عام ٢٠ حينما كانت زوجة القيصر دروسوس. أليس هذه المقولة يمكن تفسيرها في ضوء خوف الزوجة من احتمالية أن يتقاسم كلاوديوس السلطة مع زوجها؟ إن تلك المقولة سواء أكانت صحيحة أو لا سند لها فهي دليل على أن تولى كلاوديوس العرش، كان مثار الحديث ليس فقط بين أصدقاء كلاوديوس المقربين، بل وفي الوسط العائلي الإمبراطوري أيضاً، وأن شهادة امرأة مثل ليفيلا حريصة على مصلحة زوجها لا يجب أن يُعتمد بها كثيراً. على أية حال ربما تلاشت كل الآمال في تقدم كلاوديوس السياسي حين تبنى تييريوس جايوس كاليجولا بن جرمانيكوس بعد اغتيال ابنه دروسوس، فلماذا تم استبعاد كلاوديوس حتى بعد اغتيال دروسوس؟! هل كان ذلك بسبب سيانوس قائد الحرس البريطوري، والذي لعب دوراً كبيراً في الحياة السياسية في عهد تييريوس؟<sup>(٢)</sup> خاصة وأنه أدخل في روع تييريوس خطر أفراد أسرته ومن بينهم أجربينا الكبرى - زوجة جرمانيكوس - ومن هنا كان مقتلها. فمن المحتمل أيضاً أن يكون هو الذي أدخل الشك لدى الإمبراطور حول كلاوديوس كأحد أفراد أسرته، خاصة وأن كلاوديوس كان يتمتع بروح اجتماعية عالية وله صداقات حميمة مع طبقة السناتو، على العكس من تييريوس الذي كان شخصية منطوية، ويميل إلى التوجس والشك في المحيطين به. فهل سيانوس أراد تحقيق مصلحته مثلاً من خلال ابتعاد تييريوس عن الساحة السياسية وانزوائه في كابري، وكذلك من خلال مقتل ابن الإمبراطور دروسوس في روما، فيكون بذلك قد خلا العرش له، خاصة وقد قيل أنه كان على علاقة بزوجة دروسوس؟<sup>(٣)</sup> كل هذا جائز احتمالاً. خاصة مع وجود أدلة على أن سيانوس اكتسب ثقة تييريوس، فصار هو السيد الأعلى بعد أن نصح تييريوس أن يتعزل في كابري عام ٢٦، وقد أضحى رجلاً حزيناً بعد ما تعرض له من محن، وانصراف الناس من حوله بسبب انطوائه. وانتهاز سيانوس الفرصة فنفي عدداً كبيراً من أعدائه بتهمة الخيانة العظمى Maiestas<sup>(٤)</sup>. وأخيراً هل محاكمة سيانوس بعد مقتل دروسوس<sup>(٥)</sup>، هي التي أدت إلى تغيير أحداث التاريخ فبدلاً من أن يتولى كلاوديوس العم باعتباره هو المرشح المنتظر، تولى جايوس الابن الصغير؟! وذلك ربما

(1) Suet.Claud. 3.2. "Soror Livilla cum audisset quandoque imperaturum, tam iniquam et tam indignam Sortem p. R. Palam et clare detestata est".

(2) Bird, H.W., "L. Aelius Seianus and his political Significance". Latomus. Tome 28. Fasci 7(1969), pp. 61-98.

(3) cf. Maranon, G. Tiberius: A study in resentment, (London 1956), pp. 127-144.

(١٠٥) تاهد الحمصاني، تاريخ الرومان رؤية في سقوط النظام الجمهوري وقيام النظام الإمبراطوري، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢١٧، ص ٢٢١-٢٢٢.

cf. Rogers, op. cit., p. 115 ff.; Bauman, op.cit. loc. cit.

(5) Josephus, 47. LVIII, 8.

تمكنت والدة الأمير الراحل جرمانيكوس من الحصول على وثائق بخط سيانوس تكشف عن أغراضه وإطماعه، وأرسلتها إلى تييريوس في كابري، وتبين له أنه كان نفسه ضحية لسيانوس.

لأن علاقة كلاوديوس القوية بسيانوس الخائن كانت واضحة<sup>(١)</sup>. ولو طرحنا سؤالاً أكثر جرأة وهو هل ما فعله تييريوس مع جايوس الابن، هو نفس ما فعله أغسطس مع جرمانيكوس الأب؟ بمعنى إذا صحت رواية سويتونيوس، التي سبق ذكرها، أن أغسطس كان وراء مقتل دروسوس نירו، فإن هذا يكون هو سبب إرغامه لخليفته تييريوس على تبني جرمانيكوس بن دروسوس، وأوغسطس في ذلك يكون قد حرم تييريوس من أن يجعل وراثته العرش من بعده لابنه من صلبه. ويكون تييريوس مقلداً لأغسطس بتبنيه لجايوس بن جرمانيكوس، الذي دارت حوله - هو الآخر - الشبهات في مقتل جرمانيكوس<sup>(٢)</sup>. وتكون فكرة تبني جايوس بعد مقتل أبيه جرمانيكوس تحقق هدفين:

إحدهما: دفع تهمة مقتل جرمانيكوس عن تييريوس من جهة، والآخر: مكافأة ابنه جايوس بالعرش من جهة أخرى. إن هذا الاحتمال هو الآخر ليس مستبعداً في ضوء دراسة تاريخ تييريوس حيث وضح أنه كان حريصاً على تطبيق قاعدة الحكم عند أغسطس<sup>(٣)</sup>، ومثال على ذلك رفضه بشدة أن يذهب جرمانيكوس، وهو ولي العهد وصاحب سلطة الأمبيريوم لزيارة مصر دون إذن الإمبراطور وكسر تلك القاعدة التي أرساها الإمبراطور أغسطس.

خلاصة ما سبق أن كلاوديوس عكف وهو صغير على دراسة التاريخ بتشجيع من ليفيوس وأفراد من أسرته، واستمر شغفه بالقراءة التاريخية في شبابه، وبعد تقلده سلطة الإمبراطورية، إلا أن اهتمامه الشخصي بالحرب الأهلية واغتيال قيصر، وشيخرون، يبدو أنه كان وراء نُصح والدته وجنته بعدم المضي في الكتابة والحديث عن عصر اوكتافيوس وانطونيوس والإنتلاف الثاني، وما حدث فيه من حرب أهلية، وأحداث عنف قد تسبب مشاكل لأغسطس مع المعارضة السيناتورية للإمبراطورية. ولعل بسبب ما كان يتمتع به أيضاً من صراحة، ظهرت في كتابته فإنه أستبعد من ممارسة العمل العام في عهد أغسطس إلى جانب صغر سنه عندئذ، إلا أن هذا الاستبعاد ظل في عهد تييريوس عم كلاوديوس، رغم أنه كان وصل إلى السن التي اعتاد فيها الشباب تقلد منصب الكوايستور. لكن يبدو أن بقاءه في الظل بعيداً عن المناصب العامة كان متعمداً، لكن هذا لم يمنعه من أن يكون له علاقات وطيدة مع السناتو وطبقة الفرسان. وقد حرصت عائلته وأسر ارسنقراطية مرموقة الارتباط به، ورأت فيه مرشحاً مناسباً للسلطة وكان هذا أدعى لتييريوس على أن يُصر على بقاءه خارج دائرة الضوء حتى يفسح الطريق أمام ابنه

(1) Heurgon, J, CRAI (1933) p. 29 ff.

يرى هيرجون أيضاً أن كلاوديوس اكتسب علومه وحكمته وفنونه ااتروسكية من أم زوجته إيليا بايتينا Aelia Paetina Volsinii. وسيانوس أيضاً كان اتروسكي وتربطه صداقة بتلك العائلة. بينما على العكس هناك أدلة على سوء العلاقة بين دروسوس الصغير وسيانوس فيحدثنا سويتونيوس (Suet. Claud. 6. 2) أن شجار حدث بين سيانوس ودروسوس الصغير في حريق عام ١٥م.

(2) C. f. Tac. Ann. 107, III, 5.

مما شجع على انتشار هذه الشائعة تغيب ليفيا والإمبراطور تييريوس عن حضور الجنازة المتواضعة التي أقيمت لحرق جثمان جرمانيكوس ولما بلغ الإمبراطور نبأ سخط الجماهير لبساطة الجنازة صاح غاضباً "يموت الأمراء وتبقى الإمبراطورية".

(٣) راجع فيما سبق حاشية رقم (٨٤). لعل سبب تلك الشبهات التي دارت حول تييريوس بشأن جرمانيكوس، هو حرص تييريوس على أن يسير على نهج سلفه أغسطس، فلم يكن من أنصار التوسع، واعترض على محاولات جرمانيكوس في توسيع حدود الإمبراطورية في المانيا، كما عارض أغسطس من قبل توسعات والده دروسوس. ويرى مارانون (Maranon, op. cit. p. 10) أن مرض جرمانيكوس وموته ليس له علاقة بما أشيع من أن السم وضع له في الطعام، وأن تييريوس برئ من ذلك. ويرجح أن جرمانيكوس مات متأثراً بداء الملاريا أو السل وفقاً لوصف سويتونيوس لتلك الأعراض (Suet. Caligula, 106).

دروموس الصغير. ورضى كلاوديوس بهذا الأمر وهذه العزلة السياسية حتى تقلد ابن أخيه جايوس العرش عام ٢٧، وأخرج عمه من عزلته، وتم تنصيبه معه زميلاً له في وظيفة القنصل<sup>(١)</sup>.

هكذا فإن اتهام كلاوديوس أنه رجل أثر الآداب عن السياسة، والدراسة عن السلطة اتهام مبالغ فيه، حيث أنه تم استبعاده عمداً في عهد تيبيريوس وعلى ذلك يمكن أن نعتبر تلك القصة التي روتها المصادر القديمة<sup>(٢)</sup> بأن اعتقاله للسلطة بعد اغتيال جايوس كان بالصدفة، حيث تروى أن شخصاً ما يرثى لحاله كان مختبئاً خلف الستائر ولكن كشفته قداماء، تكون هي الأخرى مثاراً للشك ومبالغاً فيها، فأحقته بالعرش بعد جايوس كانت واضحة ومبررة، وأدلة علاقته الطيبة بالفرسان والحرس الإمبراطوري تؤكد هذا المصادر. أن سويتونيوس يناقض نفسه حين يذكر تلك الحادثة، بينما في فقرة أخرى يشير إلى علاقة كلاوديوس الجيدة مع الفرسان. حيث يذكر أن طبقة الفرسان اختارت كلاوديوس مرتين راعياً رسمياً لهم ورئيساً مفوضاً عنهم، مرة عندما طلبوا من القناصل نقل جثمان أغسطس إلى روما على عاتقهم، ومرة ثانية عندما عرضوا عليهم تهنئتهم لسقوط سيانوس،<sup>(٣)</sup> ولقد ذكر أيضاً أنه كان يتراش العروض مكان جايوس، وكان الناس يستقبلونه بهتاف هو:

"المجد لعم الإمبراطور .. ولشقيق جرمانيكوس"<sup>(٤)</sup>.

"Feliciter" partim "patruo imperatoris" Partim "Germanici fratri."

أليس هذا دليلاً على شعبيته<sup>(٥)</sup>. لقد ذكر سويتونيوس كذلك أن الفرسان اعتادوا أن يقفوا له بمجرد ظهوره في العروض العامة وأن يخلعوا عباءاتهم تحية له<sup>(٦)</sup>! أليس هذا دليلاً على اقتناعهم القوي على ترشيحهم له! وأنهم حين أدوا التحية الإمبراطورية له لم يكن بسبب الاستهزاء وإنما لأحقته بالعرش بعد جايوس؟!

إن ما سر تلك السمعة السيئة التي لحقت بكلاوديوس وارتقاءه العرش، وما سر عدااء المصادر الأدبية لكلاوديوس؟ في رأينا أن طريقه اعتقاله العرش على يد الحرس الإمبراطوري، وليس عن طريق السناتو أى بطريقة غير دستورية، تلك السابقة الخطيرة في تاريخ الإمبراطورية هي وراء تلك السمعة السيئة واتهامه أنه "طاغية" خاصة

(1) Wells, op. cit. p. 108.

(2) Suet. Claud. 10.1 ff., Joseph., AJ. 19. 216; Dio. 60. 1, cf. Suet. Claud. 39. 1:

سويتونيوس يصف كلاوديوس بالغفلة وغياب عقله. αβλψία, μετεωρία .. ولكنه يذكر (Suet. Claud. 38.3) إن كلاوديوس أعلن تعمده إظهار الغباء وذلك في عهد جايوس وإلا ما كان ليبقى على قيد الحياة والوصول إلى مكانته الحالية (كإمبراطور) .. وقد ظهر له كتاب بعنوان 'ترقى الحمقى' μωρῶν επανόστασις وفكرته أن أحد لا يزعم اتصافه بحماقة مهلكة..

(3) Suet.Claud.6 .

(4) Suet.Claud. 7.

(5) Cf. Suet. Claud. 12.

يذكر سويتونيوس دليلاً آخر على شعبية كلاوديوس بعد أن صار إمبراطور إذ ثارت شائعة أنه قُتل فغضب الشعب واتهم رجال السناتو والحرس الإمبراطوري بخيانتهم للإمبراطور.

(6) Suet. Claud. 6.1

حقيقة مرض الإمبراطور كلاوديوس واستبعاده عن السلطة حتى عامه الخمسين

مع كثرة المؤامرات والاعتداءات، التي تمت في عهده إلى جانب قيامه بعدة تغييرات في نظام الرئاسة Principatus نُظر إليها على أنها مغايرة للأفكار السيناتوروية الجمهورية والتقاليد الرومانية<sup>(١)</sup>.

ناهد عبد الحليم الحمصاني

---

(١) هناك اتهامات أخرى لحقت بكلاوديوس أثناء تقلده منصب الرئاسة وسوف يكون موضع مناقشتها في بحث آخر عن كلاوديوس تحت عنوان "في النقد التاريخي" شخصية الإمبراطور كلاوديوس نموذجاً.

